

تقويم الأخلاق واكتسا بها



«لاشك أنّ الأخلاق قابلة للتقويم، واكتساب الجيد منها والتخلّي عن القبيح وبالعكس. بدليل أنّ الشّرع أمر بالتلخّل بالأخلاق الحسنة، ونهى عن التلخّل بالأخلاق القبيحة، فلو لم يكن ذلك ممكناً ومقدوراً للإنسان لما ورد به الشّرع. فالإسلام لا يأمر بالمستحبيل وعلى هذا فإنّ لدّي كلّ إنسان أهلية للتقويم واستعداد لاكتساب الجيد من الأخلاق والتخلّي عن القبيح منها. وإن كان الناس متباوتين في مقدار أهليتهم واستعدادهم لهذا الأمر. وهناك وسائل كثيرة للتقويم الأخلاق واكتساب الجيد منها والتخلّي عن الرديء. والإسلام لم يدع وسيلة من الوسائل التربوية إلا استخدمها في هذا المجال.

ومن أهم هذه الوسائل ما يلي:

1- العلم، ويقصد به معرفة أنواع الأخلاق الحسنة التي أمر بها الإسلام وأنواع الأخلاق الرديئة التي نهى عنها الإسلام.

وهذا العلم ضروري لأنّه بدونه لا يدرى المسلم بأي خلق يتخلّق، ومن أي خلق يتجرّد، وقد كفى الإسلام المسلمين مؤنة البحث والاستنباط، فقد فصل الأخلاق بنوعيها، وما على المسلم إلا أن يعرض نفسه على الأخلاق بنوعيها، ليعرف موضعه منها، ثمّ يعمل جاهداً؛ لتكون أخلاقه أخلاقاً إسلامية حقّاً.

2- الاهتمام الكامل بتقوية معاني العقيدة الإسلامية في النفس. وعلى رأس هذه المعاني الإيمان بـ«اليوم الآخر» وبرسالة محمد (ص)، واستحضار الجزاء على الأفعال صغيرها وكبیرها، فتقوية معاني العقيدة الإسلامية في النفس يؤدي إلى افتتاح النفس وتقبلها لمعاني الأخلاق الإسلامية؛ لأنّ هذه الأخلاق موصولة بالإيمان ومعاني التقى، وهذه المصلة تشتد كلما قوي الإيمان في النفس، ورسخت العقيدة فيها، مما يجعل أخلاق المسلم الطيبة ثابتة راسخة لا تزول ولا تضعف؛ لأنها موصولة بالقوى العزيز، وتجد مادة بقاءها واستمرارها وصلاحها من هذا الفيض الذي لا ينضب.

-3 مباشرة الأعمال الطيبة التي تساعد على تقويم الأخلاق، وتسهل على النفس قبول الأخلاق الزكية والنفور من الخبيثة: فالعلم وحده بدون عمل لا يكفي قال تعالى: (فَإِذْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا) (الشمس/٩)، ولم يقل سبحانه قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها، فلابد من تزكية فعلية بمبادرات الأعمال المحققة لزكاة النفس وتخلصها من أمراض الأخلاق الرذيلة ومن الأعمال الطيبة النافعة لتنقية الأخلاق، القيام بأنواع العبادات والطاعات المفروضة والمندوبة، لأنها تزكي النفس وتسهل عليها اكتساب الأخلاق الطيبة والتخلص من الخبيثة، فهي لها طهارة، وزكارة، وقوية، ووقاية. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعاني، فمثلاً في الصلاة قال الله تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت/٤٤). وفي الزكاة قال سبحانه: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيَهُمْ بِهَا) (التوبه/١٠٣). وهكذا بقية العبادات بأنواعها المختلفة التي تزكي النفس وتسمو بالروح.

-4 التدريب العملي والرياضة النفسية: فإن الممارسة التطبيقية ولو مع التكلف في أوّل الأمر، وقسراً النفس على غير ما تهوى، من الأمور التي تكسن النفس الإنسانية الخلق الطيب، طال الزمن أو قصر.

وهذا المسلك يحتاج إلى تكرار ودوار حتى ينتج أثره، وهذا الدوار يستلزم الصبر وهو ضروري في هذه الحالة ضرورته للمربي الذي يتناول الدواء المر، فإذا صبر وداوم انقادت النفس وألفت الفعل ثم يصبح الفعل لها سجية

-5 الانغماس في البيانات الصالحة، وذلك بمحالطة المؤمنين ذوي الأخلاق الحسنة؛ لأن من طبيعة الإنسان أن يكتسب من البيئة التي ينغمس فيها ويتعايش معها ما لديها من أخلاق وعادات وتقالييد.

-6 القدوة الحسنة: والقدوة الحسنة هي المثال الواقع للسلوك الخلقي الأمثل. والقدوة الحسنة المتحلية بالفضائل الممتازة تعطي الآخرين قناعة بأنّ بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية. ▶